محمد الفيتوري



شرق الشمس غرب القمر

دار الشروق


شرق الشمس
غرب القمر

الطبعة الأولى

١٩٩٢ م - ١٤١٣ هـ

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

الإهــداء

إلى تلك التي ما فتئت تغرورق عيناها

.. كلما أطللنا معا على الماضي ..

محمد الفيتوري

المغرب ـ الرباط

1986_12_10

إشـــــــــارات

إشـــارات . . !

1

في غبـار الحرب الكـونيـة (1939 ـ 1945) تـلاشـى وهـج كـل إيديولوجيات الطبقات العربية القديمة . وفي نكبة (1948) دقت نواقيس إفلاس النظم العـربية القائمة . وفي هزيمة (1967) تكـرس عجز الجيل العـربي الحاكم عـن قبول التحـدي وإمكانيـة المواجهة . وفي السبعينـات أمكن للخيـانة وحدها ، ولـروح الهزيمة أن تسود الساحـة ، وأن تشق لها طريقـا متعرجة عبر طـريق النضال المسدود . ومـع تتابُع حلقـات سلسلة النماذج أو المواقف المفـرغة تستفحـل ظواهـر عقمنا الفكـري والسياسي ، ويزداد الـواقع العـربي ضعفا وفسـاداً ، بانتظـار قدوم الثـورة الإجتماعية ، والشاعر العربي العظيم .

2

وأقول إنني لست ضد انتقال سدّة الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، ولكن مشاعري مع علي بن أبي طالب . ومسألة العقاب والثواب والجبر والإختيار ، والأقانيم الثلاثة والوحدانية تَعْنيني من وجهة نظر دينية ، ولكني أرفض ممارسة الطقوس والأشكال الكهنوتية إلى ' الحد الذي تنمسخ فيه معالم الوعي والإرادة في شخصانية الإنسان .

إن كل ما هو ضد الإنسان لا يمكن أن يكون من أو مع الله .

وأقول إن إسلام خلفاء وسلاطين بني عثمان وجميع قباب جوامعهم ورخام أضرحتهم لا يجعلني أغض الطرف لحظة واحدة عن الأسباب الحقيقية لظروف التخلف التاريخية التي لازال يعاني منها الإنسان العربي المعاصر ـ مسيحيا كان أم مسلماً ـ والتي تتغلغل بذورها المسمومة إلى تراب هذه المرحلة ، ولعل زيارة السادات للقدس المحتلة وانحناءه جَبِينِهِ أمام كبرياء الصهاينة الغاصِبين ، لم تقلقني أو تفاجئني بقدر ما أقلقت وفاجأت الكثيرين ، باعتبار أن الزيارة والزائر مجرد حدث عارض في تاريخ النضال. وإن وجعي أكبر في رؤية العشرات من كتاب عصر عبد الناصر ومثقفيه وهم يوظفون أقلامهم وضمائرهم بنفس اليقين والعفوية في خدمة أهداف عصر السادات .

3

ليس هناك شعر حقيقي دون موقف اجتماعي ، إنها علاقة جدلية ذات مستويين أو وجهين يستحيل أن يكون أحدهما دون الآخر ، إن الشاعر أي شاعر هو ابن بيئته ومجتمعه الذي هو مزيج من التفاعلات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية وإذا كان هنالك في تاريخ آداب الإنسانية كلها شعراء اتخذوا مواقف بالغة الفردية ، فلا شك أن مواقفهم تلك ، إنما هي حصيلة انطوائهم على أنفسهم ، أو انتمائهم الضيق للفئات ، أو القوى الاجتماعية التي ينتمون إليها . . . أو ربما خضوعهم لمغريات ومصالح أنانية انحرفت بهم عن أداء رسالة الشعر . . . وفي واقع الشعر العربي المعاصر والقديم تتعدد النماذج وتتنوع الشخصيات وكل إبداع يتوقف على طبيعة الشاعر ونوعية طموحاته . . . يتوقف على أصالة موقفه ، وصدق انتمائه الاجتماعي الإنساني .

أما أن الظروف الاجتماعية تخلق الحدث الشعري المتمثل في ولادة الشاعر وفي صيرورته الشعرية ، فذلك أمر كثير الحدوث ولكن الشيء الأقل حدوثاً هو أن يستطيع الشاعر تفجير الحدث الاجتماعي . . . بمعنى أن يكون أداة حقيقية وفعالة في إحداث التغيير . . إلا أن ذلك كله وقف على أصالة الشاعر ، أقصد عمق ارتباطه بالناس وقدرته الخارقة على أن يكون صوت مجتمعه ، أن يكون النبي والرسول . القابلة ، وحفار القبور ـ كما يقول جوركي ـ في وقت واحد .

4

ـ لقد اختلفت الآن أساليب اقترابي مـن العمل الشعري عما كانت عليه بدايـاتي ، كنت منـذ قرابـة 25 عامـاً ، أجد نفسي متفجـراً بمعانـاة طامحاً لتجسيدها بغَضِّ النظر عن الكيفية التي تنصب فيها تلك المعاناة .

كان همي آنذاك أن أتخلـص من هذا العذاب ، بعض الـذين عاصروني قالوا منتقـدين : « كان يكتب شعـراً تقريريا لا عـلاقة له بالشعـر العر بي المعاصر». وكانوا يعنون مجموعاتي الإفريقية ، وأذكر أنني ضحكت بحزن في داخلي . ولم أكن أدافع عن نفسي ، حين قلـت أنني أحاول أن أطهر نفْسي مما ورثته من عذابي لأنني أريد أن أخلص إلى الواقع كإنسان في العصر .

ـ تلك كانـت ركيزتي فيما قبل ، أما اليوم فإنني أكتـب بعد أن أكون قد خططت وأعددت قائمة نفسية بما أر يد أن أقوله ، إنني أكتب شعري حين أريـد أن أكتب لا أخضـع لما يسمونـه بالإلهام الشعـري ، أن لدي رصيـداً موروثاً على مستوى ' الإيقاع والفكر يمكنني من قول ما أقوله للآخرين ولا تبقى ' أمامي إلا الكيفية التي بها سأقول ، أي أنني أضع فكرة البذرة بكل وعي (سـواء كانـت سياسية أو اجتماعيـة) ثم انتظر بعـض الوقـت حتى تزدهر فيَّ كما هي في باطن الأرض ، لتبدأ تتشقق في داخلي وتشقني في نفس الوقـت ، ثم تبرز شيئاً فشيئاً حتـى تأخـذ شكلها الخارجـي الذي سـوف تواجه بـه الآخرين . أقصد حتى ' تلبـس جسدها الإيقاعـي الذي يفرض

ذاته عليها ، فأنا لا أختار إيقاعاتي إنها تختارني هي :

- إننـي أختار أفكاري ولكني لا أستطيـع اختيار موسيقاي وأنغـامي ، ولعلي الآن أشير إلى ' إحدى ' حقائقـي الشعرية لهذا فقيمتي الشعـرية لا تتحدد في ضوء ما وصلت إليه مرحلة ما من مراحلي الشعرية .

- إنني مجموع مـراحل من المعاناة الإبداعيـة والتجارب الفنية ، تكتسب كل مرحلة قيمتها بأن تضعها ضمن شروطها الزمانية والمكانية .

5

أنا أحـد شعراء هذه المرحلـة و إذا كانت ثمـة من مآخـذ أو اتهامات أو حتى ' إدانات يمكن أن توجه إلى ' شعراء الجيل الذي أنا منه ، فالحق أنني أحد أولئك المدانين ، إننـي إنسان يتحرك راضيا أو مكـرهاً ، ضمن دوائر هذا الخراب الهائل الذي تعيشـه أمتنا العربية ، كنت أتصور منـذ أكثر من ربع قرن ، وكنا ما نزال حينذاك ، نحمـل باقات الأحلام داخل أجفاننا ، كنت أتصور أن من سوف يعيش تلك الرحلة إلى ' مسافات بعيدة منها ، سـوف يكون مـن حظـه ، أن يرى ' وجهـاً آخر مضيئـاً ، مـن وجوه هـذا العالم، كنت أتصـور أن وقتا سوف يجيء وسوف نكون نحن بعـض بُنَاته ، ضمـن من سـوف ينعمون ببعـض الإنتصـارات والأيام الحلـوة فيه ولكـن

هانحن ذا ، حيث بدأنا وكأن لم نخط خطوة واحدة إلى ' الإمام . . . القيود في الأرجل والسلاسل في الشفاه . . . أقصد الحرية التي حلمنا بها ، (نحن الشعراء) لم تتجاوز طفولتها المضحكة .

محمد الفيتوري

ليس في الياسَمينة
غير البُكَاء

لملائكةٍ تتعانق خاشعةً في مراياي . .

ذائبةً في شموع التراتيل . .

مائدةٌ من بنفسج روحي

ولي أفق من طيور اللقاليق

ينصب أعراسه البربرية حولي

إذا دخل الليل في الليل . .

يلبسني في الدجى قمرا ميتا

ويغادرني غابة في نعاس الظهيرة

أعراسي الغابة الاستوائية . .

القمر الميت . .

الكائنات التي تتناسل أشباحها

تحت نافذتي . .

كلما اضطربتْ في الكهوف العميقة

أمواج منتصف الليل . . !

مونـولوج 2

ها قد أتى الوقت . .

يا موحش الذات في الذات . .

ها قد أتى الوقت . .

وحدك أنت ، وأشجارك البيض . .

مثل الشوارع موحشة وحدها . .

في شتاء المعاطف والقبعات

النبوات تصدأ في بقع الماء

والصور الجاهلية ، تنفخها الريح خلفك

والزمن الرثُّ منجذب بين قطبين

* * *

خذ باليقين . .

فإنك أنت الحجاب الذي حجب السر عنك

وتلك الشموسُ التي اشتعلتْ

في القباب الملونة

اشتعلتْ بكَ منك !

مونولوج 3

مِثُل أرملة العرس . .

أسدلتْ النحلةُ الذهبية أهدابها

وهوتْ مطراً ناعماً

في بكاء الغصون

* * *

ليس في الياسمينة غير البكاء

وفي بهو سيدة القلب نافورة

ومُغَـنٍّ حزينْ

تُرى كيف تعبق زنبقتي

في بساتين هذا المساء الخريفي !

والكلمات التي ارتّبكتْ خشيَة الله

كيف تلامس قُربَانها ؟

كان عشقي مثلي يضم جناحيه إثر الزيارة

لم أكتمل في عبادتها . .

ولهذا تلاشيت دون القبولْ

* * *

ــ إنكسر . . فانكسرت . .

ــ احترق . . تحترق أو تضيء . .

جاءني الصوت . .

ــ يكتمل الطقس ، حين تصير المحبةُ لؤلؤةً

في فم النار

قلت : ــ وبرهان عشقي ؟

قال : ـ احتراقك

قلت : ـ وعشقي ؟

قال ، وألقى بدهشته فوق وجهي ؟

ـــ احتراقك في الشيء . . أدنى من الشيء

والعشق أن لا تحولْ . .

مـونولـوج 4

نَهَرٌ فاغتسـل أيها المغتسِلْ

آيةُ العاشِق الفرد أَنْ يمتثلْ

ولقد يَصِلُ الماءَ أو لايصلْ

والمدى نجمةٌ في المدى ترتحلْ

فاسقهم منك في روحهم تشتعلْ

وامش تحت حوائطهم تكتملْ

الربـــاط 1985

بَعضُ المـوت مَجـد الأرض

عِنْدَ انطباق القوس تستبدل روما وجهها المخطوفَ

روما المُدُن الوحشيَّةُ الملساءُ

ذاتُ المقعد الرمليِّ

لا أَرْوَعَ من مِكنْسَيةٍ فِضِّـيَّةٍ

تنثر برقها على تداخلات الصيف والشتاء

* * *

ثَمَّـةَ بلياتشُو سجينٌ في الطباشير

ومقتولٌ يغطي رأسه الثلجي بالشمس . .

وفي التلة ذُابُّ الزمن القُطبِي

يستدفئ في معطفه المبتل

ما أقسى عيونَ الوطن المحتل

خَيْلٌ وصقور في الدهاليز

وأشباحُ طواحين على الأفق

هي الوحشةُ لا تدفئها الوحشةُ

من يمتد في صيرورة الآخر

ـــ مات الملك الســادس

قالت شهقة الراهبة العذراء

ـــ مات الملك الســادس

وانهارت على المذبـــح

واحتجَّ الملوك الحائِطِئّـونَ الذين انتظروا منذ سنين

شهروا أسيافهـم فوق التوابيت . .

أضاءوا فلك التنبؤات . .

انهمرتْ أمطارهُم في طرقات المدن الرثَّـة

قال الملكُ الأصفر :

ـــ ها قد ذهب الحاملُ في الأرض صليب الذهب الأكبر

قال الملك الأســـود :

ـــ إكليل من الورد ، وقبض الريح

قال الملك الأزرق :

ـــ بعضُ الموت ، مجْدُ الأرض

بعضُ المجد مـوتُ اللّه

قال الرجـل الأخـــرس :

ــ هذا الكرنفال البابويُّ الضخم ،

أوْلَى بملوكٍ في التصاوير ، وفي عصري

حيث الخاتم الأعظم في الإصبع ، والإصبعُ في الخاتم . .

أزهار بساتينى على أجســادهم

فوق الجياد السود

لا أجمل من أعناقهم فوق جياد العربات السود . .

واستلقى على ضحكته ، ثم أفاق الرجل الأخرس :

ــ مات الملك السادس

2

لازيتونة الرب ، ولا نرجسة الشيطان

هذا هو أنت !

انعكس الطائر والثعبان في روحك . .

هذا هو أنت !

رومـــا 1980

حَـريق في ردَاءِ الأمِيرة
إلى اليَاس أبو شبكة

يوم أعلنتُ آية عشقــي . .

أسميتُ في نجمة في المجرَّات زاويتي . . .

وانكسرتُ عليكْ

كما ا نكسرتْ زرقةُ البحر فوق جناح النهار

كما انفرطتْ فِضَّةُ الشمس في هضبات المدار

ولما تباركتُ في زينتي ذات يوم

تلاشيتُ في حجبي . .

وانتهيتُ إليــك

ومن أنا في العاشقين

إذا لم تكن أنت عشقي !

ومن أنا في الشعراء إذا لم تكن أنت شعري

* * *

يوم أعلنــت عشقــي

كانت عروش المماليك
منسوجةً في حرير الهوادج
والأُمراء السلاجيقُ
يفترشون ظهور الجياد
وآلهةُ الحرب تلبس أزياءها القانياتِ
وكانت تُحلِّق في مدن الشرق
أشباح ماضٍ عتيقُ
والأميرة بيروت تدخل مرآتها في رداء من البرق
كانت لبيروت حينئذ هالة امرأة
غسلت جسمها في حريق
وسألتك :
كيف ا ستراح الذي غاص في مقعد الرمل
والرمل يغزو تضاريس هذا المساء العميق
وسألتك :
كيف تسلَّقَتْ القدمُ الحجريَّة سقف السماء

وفي الأرض يقتتل المؤمنون على الله !

واللَّـهُ كيف تحجَّـرَ أقنعَةً في صخور المضيق !

وسألتك ثانية

ثم مـاذا؟

وبرقوقُ[1] غادر منفاه تحت ستار الـظهيرة .

والخاصكيَّـة[2] تنفخ أبواقها الذهبية

والقصر يبرق في أصبحِ القهرمانة

والسُّـدَّةُ الملكية محروسة بالحريم

وجلجلة أمطرت وطنا كان في مقلتيك

هو الشِّعْر . . يخلد فيك وتخلد فيه

ويخلد لبنان ، منسكبا في غيومك

أنت الذي حملت راحتاه الاناء المقدس

---

(1) برقوق مؤسس دولة المماليك الشراكسة . أعلن نفسه سلطانا سنة 1983 وتوفي سنة 1398 .

(2) الخاصكية فرقة مملوكية .

والنارُ في شفتيــه . . .

وباكــورةُ المهـرجـان . .

* * *

منسكباً مثلُ زيتونة نذرت نفســها للالـهْ

ثم في ذات يوم ، كثيرِ التجاعيد

مالــت على جذعهــا . .

واستقـرتْ على الجـذع

ثم ا ستحالت هــي الجــذع

ثم استحالتْ نــواه . .

* * *

وأذكــر أنك أرخـت :

لو أن تلك الصـقور المدلاة

عبر ثقوب المداخـلْ

لم تَـكُ عالقــةً هكـذا في ثقوب المداخلْ !

لو أن رهط الملائكة المنشدين

على خشبات الصنوبـرْ

لم تتجاوز حدود اليقين على خشبات الصنوبـرْ !

* * *

لو أن هذا الرداء الرسولي

لم يتحدر قليـلا

على الكتفين الرسوليتين

ولو أن بيروت لم تَسْقِ عشاقها من دم مرتين !

* * *

وأَرَّخْـتَ يا سيدى

حين تنفتق البــذرة

الأرض تعـرفُ أبناءها

كلما ارتجفـوا راجعين

ولقد يستطيل عليها الغـزاة

ولكنها تَتَقَـيَّؤهُـمْ بعد حيـن !

* * *

عُـدْ إليها يعُـدْ وطــنٌ في غنائـك

أنت الذي قلـت ، ساعة قلـت : الرحيــل

إننـي ذاهب ، غير أنى أقول لكـم

بعض هذا الحضور غياب

وبعض الغيـاب حضور طويل !

* * *

وأقـول لكم

ـــ وأنا محض روح تبوحْ ـ

لطف الله بالناس

أن الخطايا ـ وإن أنتنت ـ لا تفوحْ

وأقـــول لكـــم :

ـــ نسيت هذه الأرض ، وقع محاريثكـــم

أيها الزارعـــون

فاستردوا محاريثكـــم

تستردوا القضيـــة

واذكروا أنكم عرب العصر ، لا عرب الجاهليـة

بيروت خريف 1982

زيَارة صَـــاحِب البرَق

هذه العتبات التي ارتطمتْ شمسُها

في صــخور المدارات

كان اسمُها عتباتِ أبي . .

كان قوســا ، تحـوّل نارا وزيتـونة

وتعـالوا إذن وانظروا كيـف ترتطم الموجـة . .

انكســرتْ آيـة الله في نجمـة الطفل

وانكســرتْ نجمـة الطفـل في آية الله

نجمتــه لعبــة الطفـل

لعبتــه نجمـة الله

كان نيـازكَ وحشيةً تتحدّى الســماء

وكان طقوسـا شتــائيــة

لا تبــوح بســر النحــول

وأزمنــةً رثة تترامـى وهنا وهنالك

فهي بلادي ، وليستْ بلادي

كان بـدءَ رحيــل الغيـــوم

وفيْض حـريق الهمــوم

وكما لم يشـأ . . عاد متشحا في الرياح القديمة

من وطـن فـي النجـــوم

إلى وطــن في النجــوم

* * *

هـذه العتبـات رفوفٌ مقدســـة

تتداخل في يقظتي

وعرائس من حجر أحمـر

وأباريق مصبوغــة

عتبات أبي . . وأنا عابـر ذات يـوم هنـا

أنا هذا الذي يتغشّاه طوفانـه الآن

فوق سطوح الرخـام الملـون

تلمسنـي فأصير هــواء

وتبصرنـي فأغيـــب

وتُثْلج في شفتيَّ عصور التلكؤ

ثمـة سفـن مداريـة من تلكـؤ ذاتـي

في قنوات الرجـال البنفـسجِ

تعرج في الشمس آونـة

أو تحلـق في المـوت آونـــة

وكمثـل الشروخ العميقة في كبرياء المدينة

تمخـر سفنى في كبرياء الرجـــال البنفسـج

مثقلة بالمجـاذيـف

سفني تمخـــر في المـــدن . . الأرض

عبر صفوف الرجـال المدانين في مجْـدَ أيامـهم

تتقاطـع فيهم ولا تنتهـي

حيث ينهمك الشفقيون في رقصـة السـمك الذهبي

المعلق في سـلة السرطان

عتبـــات أبـي . . وأنـــا

سفن حَاصَرَتْهـا جيوش الظلال

التي احتشدت في زوايـا المكـان

* * *

وتعالوا إذن وانظروا . .

لاتجيئوا كأفراس بحر الشمال على شَفَقٍ غائم

لاتجيئوا مع الملك الخوف

واختبئوا في كوابيسكم

إنكم تسكنون كوابيسكم

والذي تحلمون به يتجسد فيكم

وأنتم تدقون أجراسكم . .

وتميلون صوب انحدار الزمان

بعضكم قدر يسبق الليل

أو يسبق الضوء حيث مشى

وتعالوا إذن وانظروا

* * *

لاتجيئوا مع القمر المتأرجح

يغتالكم في مقاعدكم . .

ثم يـزلق فـوق بنفسجة اللون في العتمـة

القمـــر المتأرجـح يرصف أشجاره الطحلبيـة

حول عيون العصافيـر

كي لا ترى كيف تولد معجزة الكـون

* * *

من يقطف الورقـــات التي يبســت عن هياكلهــا !

* * *

حينما اخترتُ ناقوسي

اخترتُ صوتي من صـــدفِ البحـــر

* * *

من يحجب القمـر المتأرجـــح

أيتها الشهـوات التي انكفأتْ

فوق أجساد أمواتها

شبقا عاقرا

إنني أمةٌ حَصَدَتْ مَوتَها

وسأنبت كالطلح فوق حَنُوطِ دمى

وتعالوا إذن وانظروا

* * *

إنها عتبات أبي

وأنا صاحب البرق ـ منكسرا فوقها ـ

انظروا كيف أحرق أجنحتي وجهها

المستحمُّ بنور العذابات

حتى انكسرتُ ركوعاً على ركبتيَّ

وأسلمتُ في فرح عنقي

وتحجَّرْتُ مثل إلةً تحجر في حلمي

وأنا صاحب البرق !!

زليتن 1985

حِـوَاريّـة للفِرْعَـون وَأورشليم

كيف داهـم عينيك ، سيفُ الشتاء المرصـع . .

ثم تكسَّرَ فوق المدينـة مشتعـلاً

نصلـه نجمـة في التراب

وقبضته وردٌة بين عينيك

كيف تَعَانَقْتُمَـا أبداً . .

قمرُ الموت والافقُ المتصـدِّعُ بالمجـد والكبرياء ؟

* * *

ــ رداء العـذاب الجديد ، رداء العـذاب القديـم

يجيئون خضـر الجـوانح ، خلف مناقيرهـــم

ويعـودون خضـر الجوانح خلـف مناقيرهـــم

عابريـن . . ولم يعبــــروا . .

والرمــالُ العشــــوقُ تسـيل حنينا إلى ســاحـل البحـــر

* * *

ـ كل مُغَنًّ مـع الفجـر ينحـت تمثاله خلف سور السمـاء

والفُجَاءاتُ تستبقُ الحلـــم

ـ من ذا الذي يطـرق الآن بـاب الســكوت عليك

وأنـت الذي لوَّحَتْهُ المسـافات

باب الســكـوت عليــك !

ـ أعصفي خارجا كيف شئـــت . .

غـداً تشـــرب الأرض طوفانـها

والضحيةُ تدفـــن قاتلهـــا

إنهـم يفقأون عيـــــون النبيين

عبر شـوارع أم المدائـن مصـر

اغتسـلتُ بكل مياه البحــــار

من الإثـــم ، لم أغتســـل

أو تغســـلني النار ؟؟

من صلبـــوا الله في القـــدس

عادوا إلى صلبه اليوم في سـاحة الأزهر الفاطمــي

حصـادٌ طويلٌ من الثمـر المر يا أورشليـــم

وتمشين مختالةَ الخطو فـوق التراب المقـدس

والخائـن العربي يُخَبِّئُ رعشتـه في ثيـابـك

* * *

يوم شهـــدتُ الفجيعـــةَ ، عانقـتُ صـمتي

ثم شــهدتك حاملةً كأسـك الذهبيـــة

مملوءة من دمـــى

فتشهَّيْتُ أُغْنِيَة قبــل مـوتي

يـا أورشـليـــــم

وها أنــت ذا تضعين الـزهـور على رأس فرعــون

كم زهـرة ســوف تصفَرُّ مـن بعــد

كم شمعة ســوف تغرق في الحـــزن

يا أورشليـــــم

وكم مـرة تطلع الشمـــــس

ناسيـــة . . ربمـــا

فالتماثيل ميتة ، والتوابيـت فاقدةُ الذاكـــرة

والخيانـةُ فـرعـــونُ . . لا شـعبي المتحـــدِّي هنـــاك

ولا ذلك البطلُ المتـدثر بالصمـــت

في ظلمــة القاهـرة ! !

بيروت 1980

تنـويعَــات في التبــغ والبرتقــال

تقطفين السكــون ، وتحتجبين . .

أُمــرِّغُ عينـــيَّ فيــك

تفـــرِّين عصفــورة من دمــي

لي ســؤالُ المحبين ، تحـت سماء التمزق وحـدي

ولأنـك أنـــت فلسطيـــن

يا امـرأة مثل موج الظهيرة

في كبريـاء الظهيرة

سبَّحْـــتُ باسمـــك

يا امرأةً تلد الأمهـــات

وتولد في الأمهـــات

ويسقـــط في عشقـهـا الشهـــداء

وتطلـــع في شجَـــنِ الشهــــداء

وتركـض في طرقـــات المدائـــن

طفـــلا . . وسنبلـــةً

وصباحـــاً يسيِّجُهُ المـــاء

سبَّحْـــتُ باسمـــــك

«ويحكون أنه قد جاء في كتاب الجنوب المقدس . . وجاء في تجاعيد قهره القديـم . . أن شتلة التبـغ كانت عـاملة مـن الجنوب في السـابعة عشرة ، تدعى وردة بطرس إبراهيم ، خضبها عناد الفقر بدم الشهادة

تحت أحذية عسـكر السلطان في بلدة تدعى الغازية . . في وقت كانت فلسطين ــ تتلوى تحت الجـرح ــ داخلة في ابتداء النزيـف . عنيـت عام 1947 . وجـاء أن شتلـة التبـغ مالـت بـاتجاه فلسطين . وهكـذا سقـط حسـن الحايك ، وفاطمة الخواجة ، بين تلاوين جـوع الجنوب . .

لكن حسـن العطار ، الذى سقـط قتيـلا بدوره أمام معمـل غندور في الشيـاح ، كان أيضـا شتلة تبـغ ، يبسـت في عشق فلسطيـن [*]» .

* القصيدة مهداة إلى كاتياسرور .

ويحكون عـن فرح في قرارة عينيك . .

في رجفـة الشفتين ، المبللتين

برائحة التبغ والبرتقال

مقدَّسَـــةٌ أنـت

يصلبك الصالبـون هنـــاك

وتمشين أبهى من الحـــلم

في شجر التبغ والبرتقـــال

انهضي من رفاتـك عـذراء

تلـوى ضفيرتها الريـــح

يا وردة المستحيل الجنـوبي

لاشيء عبر المـدى . . لا صـدى

شتلة التبـغ ، ما فتئـت في الجنـوب

معانقـة جرحـهـا

والرصاصة مُرْتَـدَّةٌ عـن جبينـك يا يوسف

انهض ــ لقـد عبقـت ثورة الشهـداء

ويا فاطمـــة

إنها الذروة القاتمـــة

يا عروس انهضـــي

إن أقنعةً تتسـاقط في العتمـــة الآن

أقنعةٌ تتسـاقط في العتمة الآن !

* * *

هولاكـو يسبي فقـراء البصـــرة

يُشْعِلُ في سعف النخل النيران

والبصرة تنشر في القلب فجائعها

وتكدس خلف مآقيها الأحـــزان

* * *

البصـرة في كل مكـــان

البصـرة في كل مكـــان

الكل غريق في دمها

لا أحد بريء من دمها

* * *

حِبْرٌ يهرق

وفم يغلق

ورؤوس في الغابة تحرق

* * *

سبحت باسمك ، لابسةً تاج عصرك

تعبر فيك الفصول

ويخفت في شفتيك أنينُ المساكين

والموت مرتجفاً يتلقاك

عريان في النهر . .

أو ضـائعـا في ضباب المدينـة

مرتجفـاً يتلقـاك . .

منحنيـا . . غاسلا راحـة الله

فـي صبــح وجهــك

أنـت التي تقف الآن ، مكتظةً بالولادة

يغسـلها الشـوق والـدم

سبحـت باسمـك

سبحـت باسمـك

سبحـت باسمـك

بيروت 1980


القيَامة

لِتُعانِقْ نُبوءَتَها هذه الرُّوحُ . .

وَلْتنتصِبْ أفقاً مشمساً ، خيمةُ الطيِّبِ والخبز . .

وَلْتستحِلْ فوهاتُ البنادق

في كف حاملها ، نهرا أبيضا

يتدفق عبر الحقول

وليظل اكتمالُ اكتمالِكَ فوق مدار الفصول

أيُّها البشريُّ ، الآله ، الرسول

القرابين ، والشوق منَّا

ومنكِ الرضى والبِشاره

صحراءٌ نحاسية ، نحن لولاك . .

أزمنةٌ من حجاره

— 1 —

من جحيم الطقوس ، ومن خزف الكلمات

ومن دوران الفصول

سـقوف معابدنـــا

وطعـــام موائدنـــا

أبداً ننحـني ضـــارعين ، عـــلى بقـــع الـدم . .

تمتـد فـوق ســـواعدنا

وحريــر وسائدنـــا

تتداخــل فينــا الهزائـــم ، هاربةً مــن عيــون

الذى ســوف يأتـــي

ونُغَطِّـــي الخطايا ، فتفضحها أعينُ الأمهـــات

— 2 —

مبـاركةٌ خطواتــك . .

يا مــن ستأتي على هذه الأرض ، مخترقا جبل السر

هالتك القدسية حـولك

مجد الســموات حولـــك

تأتـي كمـا جئـت من قبــل

تغســل عنـا الجريـمـة والعقــــم

هــا أنــت ذا تتلمَّسُ موتاك . .

تنفض أجســادهُم من تراب السنين

تُبَاركُ أيامهم . . تستدير مهيب الكآبـة . .

قلبــك لاينبــت الحقــد

مجــدك لايـرثُ المـوت

وجهــك لايلبسُ الكبريـــاء

ــ 3 ــ

يسـألونـك . . ؟

ــ كلُّ مياه المحيطـات . . كل الســحاب

الذي يعبر الأفـق ، منحدرا

في مــدى الأفـق

كـل خوابـي العصـور العتيقـة . .

لاتطفـئ العطش المتجسـد في القلـب . .

. . تطفـئة دمعـة ، تتألـق عـارية الطهـر . .

في ردهـة الحـب

ـ 4 ـ

ـ لن تجـدوني . .

كما تجـدون أسـاطير من مثّـلوُنيِ

نقوشـاً على حجـر

أو تصـاويرَ مبهمةً في كتـاب قديـمْ

أنا في الكائنـات ، وفيكـم أُقيمْ . .

ـ 5 ـ

ـ يسـألونك . . ؟

ـ كانـت سياط الخيـانة ، تجلد أرواحهم . .

وتحاصرهم

كنت أرحـــم آلامهم ، وأنا مُغْرِقٌ في سـكوني

ولهذا غفرت خطيئتهم

ورثيتُ لمـن قتلوني !

ـ 6 ـ

ـ يسـألونك . . ؟

ـ هـذا اعترافك أنــت . .

الشهـــادة في فمـك الملكيِّ

وإذا نارك اشتعلتْ في يديَّ . .

فالذي اختارني ليس أنت . .

ولكنه « أنا » يقســو علي . . !

— 7 —

ـــ فوجئتْ أورشــليـــم . .

طار طائرُها عالياً . . وتخطَّى النجـوم . .

وتِفاجأ ثانية

بالسـقوط العظيم !

— 8 —

ـــ يسألـونـك . . ؟

ـــ مَنْ لَمْ يكُنْ خائني هـذه الليلة القمـرية

فليأتِني تاركاً قوسـه ، وكنانتـه

وحســـامـه

ســـوف أبعثـــه سيـــدا

أنا مجـد القيـامـــة !

ـ 9 ـ

أيها البشـر الآلهي

الذي قهر الحقـد ، والموت ، والكـبرياء

ابتســم للذين انتهـوا فيـك

وابتـدأوا فيــك

قل كلمتـك . . كن رجاء لهم . .

وأجـب سائليـك . .

أنت يامـن وهبـت دمـك . .

خَمْرةً ، وخلاصـا لأرواحهم

وبكيت على قاتليـك ! !

باريس 1979

لا .. لَيس لبْنَان

لا . . لا تقُلْ دخـلوا في الموتِ أو رحـلوا

هناك من أَمَرَ الأبطالَ فانتقلوا . .

هناك لبنانُ ، والأرضُ التي غضِبتْ

لوقع أقدام من خانوك ياجبلُ

هناك إرثك في الأرواح حيث سَرَتْ

أرواحُ من ملكوا الدنيا ومن شغلوا

هنالك القدسُ . . يا قدسَ النبوة ها

قد كان ما كان ، مما سطر الأزل

لكـن سكان برج الصخر تدرك أن البحر

آت . . وأن الموج متصل

سألت نفسي لما جئت مختلطا

أكاد أخلق في ذاتي وأرتجل

مَاضِيَّ مجد قديم النقش أحمله

على ذراعي ميتا ، حيث أرتحل

ودارتي قطعة من صخرة سقطت

من نجمةٍ لم تزل في الأفق تشتعل

وبي من الهم ، ما بالكون من عرب

ضاقت بهم صحراءُ التيهِ فاقتتلوا

تقاتل الجبلان : القهر والبشر السكون

بالقهر ، والدميتان : اليأس والأمل

أنا الشقي بهم . . لم يبق في دمهم

من عزة النفس إلا النفط والعلل

أنا الشقي بأحبابي ، وإن يبسوا

كمثل ما تيبس الأيامُ أو أفلوا

ففيم أزهو اغتراباً عنهم . . وأنا

كل الذين علوا في الأرض أو سفلوا

وفيم أستنهض الأموات معتذرا

مادام تاريخ أجدادي هو البطل

غفوتُ . . لم أغف : مثل النهر سابحة

أسماكه . . وهو في استغراقه ثمل

نأيتُ . . لم أنأ : كان الموت يلبسنى

حياً . . ويلصق في عمري وينفصل
بكيتُ . . لم أبك : مرّتْ غيمةٌ فسقت
غصناً من الورد يدنو ثم لا يصل
رأيتُ لم أر شيئا : كان ثمة في الآفاق
بغضٌ لوجه البغض يقتتل
صرختُ والدم في راحـات من شربوا
ولحم لبنان في أشداق من أكلوا
لمن إذن نصب الموتى سواعدهم
فوق الجحيم ، وشبوا فيه واكتهلوا
وفيـم أطلق طفلٌ جسمه قمرا
من القذائف ، والتاريخ مُنْذهلُ
وغاصَ في وطن كالحلـم تحرسه
عدالة الله فوق الأرض والمثل
لبنان . . لا ليس لبنان الذي صنعوا
بالأمس أو قسموه اليوم واحتفلوا

لا ليس لبنان عرش الطائفي إذا

استقوى . . وألعوبة الحُكّامِ إن عدلوا

لا ليس لبنان تلك الملصقات على

الحيطان ، تنزو جراحات وتندمـل

وليس لبنان هذا الليل يغسـل عينيه

. . بذبح ضحاياه . . ويكتحل . .

لبنان رؤيا نبوات مقدسة

تظل في الكون مثل الكون يكتمل

فلتستبق وحدة الأديان خالقها

إلى الوجود . . وتحصد زرعها الرسل

باريس 1984

ذهـــــــوُل

وحده المحمول في أسوارك الكبرى . .

مخيفا مثل أسرارك ياراهبـة البسـتان

لم يسألك هذا الشبح الماضي . . إلى أين ؟

اليواقيت . . الأعاجيبُ ، وسحر البحر

رملٌ في اليواقيت . . ورملٌ في عيون البحر

لو أبصرتْ الياقوتهُ الميتةُ ، حزن الضوء

في الوحل الذي يسطع في الضوء

ووجه العاشق المبحر في وحشتِهِ

والقلب مقتول الصبابات

وها نحن تهالكنا على حائطنا الثـالـث . .

والسابع . . والعـاشر

ها نحن ، ومازالت رؤوس المدن المقطوعة الخرساء

تساقط في جنازها الثالث ، والسـابع . .

والعـاشــر . . فينـــا

وكـأنـا مــا بقينـــا

* * *

إنه منتصف الخط العمودي . .

انتصاف الزمـن العاكـس . .

ها قد سكنت سيدة الإيقـاع في الإيقاع

والسـاعة في السـاعة

والقوس يغيب الآن ، في نرجسـة القلب

وصيف في رداء أبيض يسبح صـوب النهر

يا صيف انفعالاتي . . امكثي

قلـت : امكثـي

مائدة الزهر المسائي استحالـت جـوقة

مغرقـة في الصمـت

والخالق يفنى راحلا في وجـع المخلـوق

والموت كما كنا اشتهيناه

يُغَنِّي أبدياً في حضور الموت !

بيروت خريف 1982

ذَاتَ مَسَـــاءٍ .. ذات صَبَــاح

وردةٌ . . طيـفُ قِدِّيسَةٍ . .

سكبتْ رُوحَها في اتجاه السماء

وسحابُ إوزٍّ غريــق علــى الأفـق

يدفـع أعناقه المتعبــات

إلى نقطة في الدجى اللؤلؤي

وفي منحنى القوس بعضُ رســوم الشتاء

وآلهةٌ من غيــوم تشكِّل أجســادها

صوراً مفزعـات

وأوشحةً عنكبوتية النســج

يا رؤية الله في رؤيتــي

ما الذي جعل البحر يطفئ قنديله فجأة

ويغادر نوبته ، شاخصــاً في سقوف البكاء

— 2 —

لم تكُنْ غير قبضةِ رملٍ تســافر في البحر

كـان هـو البحـر

كان هـو النجمـة الأطلسية

والرمل ، والبحر

أغْرقَ في ذاته ، ذاته

وا نحنى داخلاً في زواياه

ذات مساء رأيناه

قال الذين رأوا شبحا في أزقة فاس العتيقة

منهمكاً في الغرابة :

كان كذئـب الجبال ، وحيدا . .

يصـــارع أفعـى علـى ظهـــره . . زاعقــاً

ــ إنني حارسُ الغابة البشرية

والطير تأكل أرزاقها فوق مائدتي

ثم تفرخ فـيَّ ، وتأكلني . .

وأشاح ، كمن يتقيَّأُ فـوق عظام مدينته . .

ثــم أرغـــى وتـــاه

وأمطـــرت النـــار إثـــر خطـــاه

— 3 —

مِثلُ رأسٍ مجللة بالسـواد

تطلُّ معذبةً من تقوب المناجم

مثل رسول يقوم من الموت في الكتـب الأزلية

أصفر . . أسود . . أزرق

عيناه شمسان زنجيتان

مثبتتان على لوحه الغيب

قال الذين رأوا لحمه يتناثر ذات صباح

على الشاطـئ اللازوردي

كانتْ ألوفُ البنادق تبصق أحْشاءها فيه

وهو جميلٌ وقاتمْ

أميرٌ من البـرق ، والـرعـد قـادمْ

وحيـن تنـاوبه حـرس القبــر ،

كان بوسـع الفضـــاء

يسيل غناء ويرقص

ثم يسيل غنـاء ويرقص

حتـى اختفـى ، صـاعـداً خلـف رقصتـه

في غنـاء الجمـاجم

ـــ 4 ـــ

حيث تزرع رأسـك . .

لاينبغي لك أن تحصد الدهشـة

الرأس قمحة من يحطب الليـل

بعض الذين أحاطتك أشجـارهم

حطب الليل

* * *

كان الحضورُ الجميل احتمالا

وكان كمالُ الكمـال اختلالا

وجرَّدَني من سحابته ذات يـوم وقال :

احتـجـب

فالتواصـــل غير الوصـــول

والتماثـل بعض الـدنو الخجـول

الرباط 1985

تَرنيمـــَة للحُــبّ والأرض

صلِّ من أجلها . .

وارتبِكْ لحظة في تصاوير سقف المدينة

إنك في مجد معشـوقـةٍ هـي تحـت سماء الألوهيـة

السيف ، والرأس ، والمعمدان

وهي ختم خوابى الرحيـق

التي عُتِّقَتْ من قديم الزمان

وهي بدءُ اغتراب المشاعـل

والحالمين على الأرض . .

معشوقة سكنت في شرايينها شمس لبنـان

واختـال في روحـها عطـر لبنـان

* * *

صـل من أجلـــها

صـل إن طيـور المدينة تنفر أقفاصـــها

وحصـاد البيادر كان حصـاد العـذاب

واكسر الراحتين على نقطـة من دم

عِلقَتْ بالرداء المقدس

في خجل واضطراب

إنها الروح تسترجعِ الآن ميراثها

الآن تنهض مطعونة في مقاتلها

صور الكائنات البريئـة

والضـائعـون خـلال الضبـاب

يجيئون عبر جسـور الضباب

* * *

شـدمـا ذبلـت زهـرة العمـر

في حين لم يحصد الحاصـدون من الحرب

إلا الخـــراب

عبثا سقطتْ من أصابعهم هـذه الأرض

مـذ أغلق الشعـب من دونهم بابه

سقطتْ مثل زيتونة من أصابعهم

هذه الأرض

والنخل ظل يُمَشِّطُ أغصانه تائها

والنسيم الحريريُّ يرشق وردته

في بلاط السكوت

والذبيحة مشدودةٌ في موائدهم

دم تلك الذبيحة كان يقاتلهم وحده

كان جيشا يحاصر جلاد بيروت

منتقما . . ويقرر أن لا يموت

* * *

صل من أجل لبنان

من أجل كفين مصلوبتين على خشب الأرز

شاهقتين بأعلى الجبال

صل من أجل عينين زنبقتين

تحجَّرتا . . وتحجر فوقهما كبرياء الجمال

صل للحزن ، يضفر تاج البراءة

فوق جباه المحبين

صل للجرح في وطن الجرح

يكبر يوما فيوما . .

ويسطع مستصرخا كل حين

بيروت 1984

أورَاق طـائِر الليْــل

يكتب شيئا ، طـائر العاصفـة الشتـوي . .

في أوراق هـذا الليل . .

من توَّجَنِي يا ملك العتمـة

مملوكا على العتمـة

هل تبصـر هذا الأفق المشمس في عيني ؟؟

إني أتحدَّى عرشك المصبوغ بالمجد

ومن علَّقني ، في قفص الدمية

لا أملـك إلا خـوذة الريـش

ولا أحمـل إلا صـدف البحـر

ولا أمضغ إلا بعض ما أبقى الضحايا الخالدون

في فمـي . .

ومثلمـا أردتنـي . .

حلقـتُ في غير سمائـي

وتسـاقطتُ شهيد العصر

في غير ترابي ودمي !

— 2 —

من خبَّأ الرغبـة في الشـوق

أتدري ؟ أنت تدري

أن هذا الشـوق مأساتي

انعكاسـاتُ مراياك على وجهي . .

قوسُ الشجر الغارق في الأصفر

لون العشـب في العشـب

التماثيلُ التي تعبق بالذكـرى

ولا تملك إلا شهقـة الذكـرى

لماذا نملك الشيء قليلا

ثم لا نملك إلا جسـد الشيء !!

وتـدرى أنـت أن الزمـن الميـت في الإنسـان

إنسـان يموت

زمـن الدهشـة ، والصحـو الضبابـيُّ يمـوت

زمـن يسـكـت فينا

ثم نمتـد على الأرض

ويمتـد على الأرض السـكوت

ـ 3 ـ

مرَّغَتْ منقارها أنثى العصافير

على الحائط حزنا

ثم قالت ، للذي استغرق

في صبوته الكبرى

إذا لم تعـد الآن

فلـن أغفـر للموت

ولن أغفر للحـب . .

ولن أغفر للغفران

واختالـت ، وقالـت :

ـ ليكـن

وليسـكرَ القاتـل بالمـوت

فإني بـك سـكرى

خمرتي حبـك لا الخمـر

وأزهـــار الأُلُوهُيةِ تنمـــو فـي بســاتيـن خيــالي

فأنـا منـك

وهـذا الأُفُـقُ الرائـع

فيــضٌ مـن جمـالي

ــ 4 ــ

الآن تبـدأ البـداية

الآن تنتهي النهـاية

مستلــب كأنمــا لــم تكـن النقطـة فــي النقطـةِ

في لؤلؤة العينين أنـت

مِن حيثما صفر البدايات

إلى صـفر النهايات

ذهـبت لم تذهــب

وَجئت لم تجـئ

بكيت مثلما ضحكـت

أضأت مثلمـا انطفأت

عشقـت بعـض الوقـت

كرهـت بعض الوقـت

ـ 5 ـ

تغتســل الثورة في الثورة حينـا

مثلمـا تغتســل الأنهار في حـدائق المطـر

تستيقـظ الخالـدة العــذراء

في ردائها الأحمـر

بيضــاء الجناحين

يعـانق الحيـاة صـوتها

ويشعــل الجبـال ، والبحــار ، والشجــر

سيدتــي

بقدر ما ركضت في شوارع القهر الرمادية

مجنونا أغني بك . .

لايسمعني إلا المجانين

ولاتعرفني إلا عيون الشهداء

بقدر ما أنت

اجعلي مجدك في أرضي . .

اسكني هياكل الطين

وأعشاب التوابيت

وأبواب بيوت الفقراء

1978

سُورَة الفقير

لك دمع العيون التي عانقتك بأحـداقها

في صباح العـذاب الجميل

يوم جئتَ من المستحيل

ناسجاً بيـديك حـريق الإرادة والمستحيـل

صـاعداً فضـة في الشـروق

سائلاً ذهبا في الأصيـل

غارسـاً بذرة الغـد ، في رحـم الأمـس

منصهرٍ الذات في الله . .

مقتلعاً مثـل عاصفـة أخريـات المسـوخ

المقيمة في الصـخر

يا وطني العـربي المُغَلَّفُ في كتب الرمل :

قلبـي أنا ليس قلبك هـذا العليـل

* * *

. . وَحلَّقْـتَ سهمـاً ودائـرةً :

ـ سوف ينبثق العصر من هذه الهضبات

ويجرف دنيا توشحت القحط والقهر . .

لا أقرأ الغيب . .

لكنها أبصر الحلم عبر عيون بلادي . .

وإن أبطأت موجة الصيف . .

فالأرض مشمسة خلف تلك التلال

ولابد من زهر في الحقول البعيدة

لابد من قمر في الزمان البخيل

ومن لم يكن زهرا

أو يكن قمرا

فليقف جانبا

* * *

إن عدلا على هذه الأرض . .

ليس هو العدل . ما بقي السوط يستنطق الناس

فليركل الميتون مقابرهم . . ولتقم آيـة العدل
هم صوروا الله فـوق سقوف معابدهم ، كيفما حلموا
إنمـا الله في النـاس . .
لا مثلمـــا زعـم العـاكفـون علـى الرمـل

— 3 —

دائراً في الدجى ، لم يزل حلم ذاك الفقير
الذي أمســك الشمس في راحتيه قديما
وأفلتها حجرا . .
دَائِرا . .

— 4 —

كان في العتمة المستريحة ، فى سرر الكـون ،
رَبٌّ عجوز ، يطير بزحافتين من الثلج
ثم توغل في التيه ، فابتلعته العصـور

وما فتئ الجنـد منذئذ

يَرْقُصُـونَ عـرايا الجسـوم على رقعـة الشطرنج . .

ـ 5 ـ

لماذا إذن ؟ وَلِمَنْ كل تلك الذبائح

سادرةً في مواسمها

ولماذا يجيء النبيون والشهداء ، كأن لم يجيئوا ؟

الزخارف تبنى البيوت ، وتسكن سكانها . .

والطقوس مقـدسة . .

لست أحسـد ميتا على أنه لابس كفنا من حـرير

ولكنني أسأل الميتين . .

ـ وماذا لو امتلك السيف والعرش

غير الذي امتلك السيف والعرش

— 6 —

قال لها ، وهو يحفـر شاهدهُ في قبور المدينة

ميلي هبوطـا إلى الهـاوية

واستخفِّي ، فيا طالما نسج العنكبـوب

شباكـاً علـى حجـر الـزاويـة

— 7 —

يوم جئتَ تحسست الكائنـات جدائلها البيض . .

واغتسلت باليقين لأول مرة

وأطلت من الصحراء نجـوم ، لأول مـرة

طرابلس 1984

صَلَوات للوطَن

بعض ما سطر الدم المبذولُ

والجراحات والصـراع الطـويلُ

أنك الأفق ، حيثما اتسـع الأفـق . .

وأنـت الجبين والأكليــل

ويزول الذين تحجب ضـوء العصـر

خـوذاتهم . . ولسـت تـزول

ويخـون الذي يخـون . .

ويبقـى عاليـا وجهـك الجميـل الجليـل

ويغنيـك مـن يغني

ويجثو فـي زوايـاك مجـده والأفـول

أيها الكل . . والكمـال . .

ومجـد الله . .

والمعجـزات . . والمستـحيـل

أترى عاشقيـك

كيـف يذيب الوجـد أجسـادهـم

وكيف تحول

كيف يستيقظ الشهيد من الموت

كأن لم يمت . .

ويحيا القتيل

كيف تندى أرض . .

وَتَيْبَسُ أرض . .

ويضحِّي جيل . .

ويولد جيل . .

هو ذا أنت . .

لا الطبول التي أمتصتك دقاتها . .

ولا التطبيل

لا بخور المصفِّقين . .

ولا يأس المرابين فيك . .

والتدجيل

لا الصليبي قادما من جديد

فوق أسطوله . . ولا الأسطول

لا أغـاني المخنثين . .

ولا رؤيا يهوذا الأعمـى . .

ولا إزريــل [1]

هو ذا أنـت . . أنت

هذا الذي يجترح الصمـت

سيفـه المسـلول

أنـت هـذا الذي يجـئ مـن الصحـراء ضـوء

حين الظـلام البديـل

عربيّ

أكفانه فـوق كتفيه شهـود

على اليقين عـدول

داخــلاً فـي عـلاقـة المـوت بالمـوت

كمـا تدخـل الفصـول الفصـول

---

(1) اسرائيل ، وهي لهجة عربية قديمة

غاضباً تسطع الرؤى ملء عينيه

ففي كل نظرة قنديل

* * *

ويموج السكون عصفا . .

ويسرى في عيون « المارينز »

حلم ثقيل

لم يكن غير ظله ، وهو يرتجل الأسوار . .

يعوَجُّ عامدا ويميل

ـ لم أبطأت ؟ قالت الأرض . .

ـ فَجِّرْ . . كُنْ كما لم تكن . .

فأنت الرسول

* * *

وتهاوت دعــائم . .

كُــنَّ من منذ قليل . .

هُنَّ الوجــودُ البديل

يومــهــا ازدانــت الأميــرة بيــروت بصــمت

وانســاب دمــع نبيل

وتمنــى لبنــان ، لو لم يبــدد إرثه

الطائفيُّ والمخبول

فالنبي الشهيــد طفل جنوبي

بآلام شعبه مجبول

والنبي الشهيد أغفى . .

وفي كلتا يديه

القرآن والإنجيل

* * *

يـومهـا غطـت النعـوشُ سمـاواتِ أميركـا

وغـام فيهـا الذهـول

فالذي ضمت النعوشُ

هـو المحتل في كبريائه والعميل

* * *

يومها قال قائـل

يا فلسطين قتلنا . .

والصـامدون قليل

غيـر أن الأطفـال تولـد فـي كـل صبـاح . .

وقهرنا مستحيل

دمشق 1983


بَيروت

. . ومتى تحلق شمسك الخضراء يابيروت ؟!

كأس الله ، هل ستضيء بين شفاه من سكروا

بكأس الله ثانية ؟

وأشواق الذين تعانقوا في الحلم ، عبر تماوج الألوان

يا بيروت . . في استشهادها . .

وحريق بواباتها الكبرى

لئن صار الهوى ذكرى

فيا لعذوبة الذكرى !

* * *

ويرحل في سحاب النار

عنقود من السنوات يرحل في سحاب النار . .

كان الفجر ، أصفر بارد العينين والشفتين . .

كانت شمس بيروت الحزينة ، نصف مرآة محطمة ،

تلوح على بقايا نصفها العلوي

أشبـاح الفجيعـة . .

وهي تغرق في مقاعدها الوثيرة

والذين هنـاك يختبئون تحـت جلودهم

ويخبئون مرارة الضحكات

يقتسمون ارث المـوت

في زمـن الولادة والدمـار

* * *

أو كان محتـوما عـذابك !

أن تغـوص حجـارة الكبـريـت فـي عينيـك

هـاتين المظللتين بالفـرح العميق . .

وأن تلف جناحك الذهبي

عاصفة السـقوط والاحتضـار !

* * *

أو كُلُّ هذا الســاحــل الملحــي جرحــك ؟

كل هذا الحائط الدمــوي موتــك ؟

كُلُّ هــاتيــك الضحــايا الســاقطــات من الجحيــم . .

وأوجه القتلى المفرغة العيــون . .

وذكريــات الرعــب والدم والغبار !

مجهــولــون عنــد الحــاجــز

* أنا محمد بطرس العربي من لبنان

ــ حســبك لا تزد حــرفا

* وأعمل بائعا لليانصيب ، أبيع أوراق الحظوظ .

لمن يشاء . وربما بعــت القليل ولم أجد إلا القليل .

ـــ وأنت ؟

* نجــار قديم . كان لي بالأمس حانوت وضــاع

وقلــت يا صيدا الــوداع

هناك بيروت التي يحـكون عنها . .

وانحدرتُ ميمـمـا بيروت . .

لكـن المدينة أوصــدت أبوابها . .

بيروت قاسيةٌ على فقرائها . .

سأعود يا صيدا إليـك . .

فقد تعبت من الصراع .

ــ وأنت ما اسمـك ؟

* كنت أُمتهن الحـدادة . . ليس لي وطن

سوى لبنان .

وَاسمي منذ سمّاني أبي غسـان . .

لم أك حاضرا إذ ذاك . .

ــ لا تقلـق . . فلن تحتاج بعد اليوم .

لاسم أو هـوية .

* هـل تريد هويتـي ؟

ــ لا فـرق ياغسـان . سـوف تمـوت مجهـول الهويـة

القنـاص يعترف للفريسـة

عيني وَرَأْسُكَ والزناد

أنا الذي تتشكل الأعمـار بين يديـه . . تنقص أو تزاد . .

أنا الذي يحييك أو يفنيـك . .

مهمـا كـنت . . أو مـن أنـت ؟

لا أُغْنيَ بغير المـوت

أنـت فريستي

وأنا هو الـرخ المحـلق في سموات الرمـاد

بعثت من عصري لكي ألقاك

هذا أنت تقترب . .

اقترب . . طفلا . . عجـوزا . . كاهنـا . .

إني أريدك تحـت منظاري . .

ورأسـك وردة حمراء ، تدعـونى لأشهد عرسـها . .

يا جثة الحي الذي سيكون منذ الآن جثة ميـت قـد كان . .

لا لن تفلتي

وأنا بريء منك يا من لست أعرفه . .

فلا تحقد علي

وأنت ترقص في دمائك

لست إلا قاتلا متعاقدا بالأجر . .

اقتلُ ، وهو يدفع ، ثم أقتل . .

غاسلاً كفي منك . .

ومن دماء القادم المجهول بعدك . .

والذي سيجيء حيث يسود مجد الموت . . مجد البندقية .

إني مجرد آلة خرساء . .

أما القاتل الفعلي ، فهو وراء شرفته . .

يراقبني

ويضحك . .

ثم يومئ للضحية !

الكلمـات الأخـيرة

بيروت تشهـق بالقذائف والقنابل

بيروت تحـلم بالخـرائب والزلازل

فهنـاك مجـلود وجـلاد

ومقتـول وقـاتل

وبنـادق خانـت . .

وأخـرى عـن مواقعـها تقـاتل .

بيروت 1975

مَــن أحْـرَق قلبَ الفســـتقة

ما اسمها ؟ تلك التي تـرسـم عينـاها

عـلى نهر السمـوات

وشـاحـا قـرمزيا

وطيورا ذاهـلات

وقناديل سجينة !

ما اسمها ؟ تلك التي تذبح في ساحتها . .

الأطفال والموتى . .

التي تختال في زينتها

وهي حزينة ؟

ما اسمها ؟ تلك المدينـة

قلـت : بيروت . . ومدريد . .

ومـاذ قلـت ؟

نيرودا الذي يزدهر اللحظة في ماء الينابيع . .

ولوركا . . لم يزل مغتربا في حـب غرناطة . .

يستلهمها الثورة والشعر . .

وتستغرقه النشوة

حتى الاشتعال ! .

آه . . يا غرناطة الأشواق

غرناطة أبراج الجبال

درج الشمس رمادي

ومصقول . .

وناء مايزال

غير أن الوتر المشدود في دائرة الكـون . .

وفي قلب المغني

ليس خيطا . . إنه قلـب المغني . .

ولأنَّ النـار في جبهته فهـو يغني

أبديًّا لك ياروح الجمـال

ولعيني مصطفى الكردي [1]

مغسـولا بنور الدم

---

(1) قتيل مجهـول في الحرب اللبنانية .

مجهولا من التاريخ . .

منسـيا . .

وملقىً في الـظــلال .

مصطفى الكردي . . لما مات

كانت مومياواتك يا بيروت . .

قد غادرت الماضي

عرايا خـارج العصر . .

وكان الله في مدريد قد مات (1)

وكان الموت يمشي سيدا

فوق عظام الجنرال . . !

---

(1) كان موت الديكتاتور فرانكو يملأ أعمدة الصحف ونشرات الأخبار .

وداع الرجل الميت

قمـر الأمـة . .

يا خارطة الدنيـا . .

وطاووس النضـال

شاحبا أدخل في شمسـك . .

في أعمدة البهو الرخـامي ضئيلا . . ونحيلا . .

رافعا قبعتي السوداء . .

ما أعظم بهو الموت . .

ما أجمل مولاي حزينا

وسجينا

وذليلا

يتمنى وهو لا يملك . .

يبكي مثل من يبكون

يرتاح كما يهوى ، ولايهوى

يرى تاج النهايات

على رأس البدايات

فينهار طويلا

ثم ينهار طويلا

ـ 2 ـ

وقع الطائر في أُحْبُولَةِ الصياد

صقرا ملكيا ، عاصف المخلب

عصفورا غريبا ، أخضر المنقار

ذئبا جائعا يبحث في الأدغال

عن أنثاه

يا مولاي

كم تشبه في موتك أنثى الذئب . !

كم تشبه سنجابا شتائيا جميلا

لم تعد تشبه أبطال الأساطير المخيفين

المثيرين القشعريرة في الأجيال

لاتشبه بعض الآلهـة !

* * *

واحتراما للذي كان هوالأمـة . .

أرخي هـذه القبعة السـوداء في صمت

وأسترجـع بعض الضحكـات التائهـة .

* * *

وهذه إجـابة السؤال .

يجلس بعد موته الجنرال

خجلان ، إلى مائدة الكـردي . .

والكـردي خجلان

إلى مائدة الجنرال . .

— 3 —

قط لم تســمع به ؟!

أعرف يا مـولاي ، ان بطـلا منتصرا

مثلك . .

لايســمع إلا صـوت بطشـه

ولايبصر إلا وجه عرشه

ووجه نعشه

ولا يعبد كائنا سواه !

الجـريمة والسـكوت

ومصطفى كان يبيع الفستق الأخضر

كان قلبه فستقة خضراء

كان فستقة !

تأرجحت عشـرين صيفا

ثم لما جاء صيف المطر الأسود
والمعاطف الحمراء
والحرائق المعلقة
تراكضت في طرقات الريح مثل ورقه
وابتسمت محترقة !

* * *

من قتل الكردي ؟
من أغرق في اللعنة بيروت ومدريد ؟
ومن أحرق قلب الفستقة !
تسأل في موتك يا مولاي . .
لا أجرؤ أن أشهد . .
لا أجرؤ أن أومئ نحو وجهك العظيم . .
رب المحرقة !!!

بيروت 1975

عَصْفورة الـدّم

كان ثمة كفٌّ رمـادية ،

تتدلَّى من السقف . .

حاملةً قمراً ميتا . .

وطيورٌ من النار ، تنقر لؤلؤة الليل . .

كان قلبي آجرَّةٌ من دم

ثقبوها . . فسالت نجوما مضرجة . .

عبر أقنية الليـل . .

أيتها اللانهائية البعـد . .

يا من تَظَلِّينَ مثل زهور السـموات

غارقة في دمـوعي طالعةً في يدي

أو هذي طقوسـك أنت ؟

يموت المحب على درج الشـوق

دون الصعود إليك

ويصبح أغنية أو صلاة

يتوهج في الموت . .

أو يتوحـد في العشق . .

أو تستطيل سراديب غربته . .

فهو في سجن غربته . . بطل أواله . .

* * *

وتداخلت في شجر الكلمات الحزينـــة بيني وبينك . .

كانت خيام المجوس . ونار معابدهم

تتعانق في طرقات المدينة . .

والعصر ربٌّ عجـوز . .

يُرَقِّـعُ أشـلاء تاريخه

ويبـارقُ عاصفةٍ . .

والعيـون التي أطفأتها المهـانة

تحلـم بالنصر ، فـوق رمـاد مضاجعها . .

وتغازل من شـرفات المخـادع

جندرمةَ الطائفية ،

وهي تحاول أن تسجن الريح في صدف البحر . .

أن تحجب الأرض بالقبعات . .

وأن تذبـح الماء في النهر . .

والنهر أذرعَةُ الفقراء ، وميراث أجيالهم . .

وبنادقهم . . وأناشيد أطفالهم

وهو طين الحقول ، التي احتضنت

خصبها زمنا

وحديد المصانع

وهو هذا الدم العربي . .

الذي يتدفق عطشان

من فجـوات الجراح

إلى فجـوات الشـوارع

* * *

كم هي موحشــة هــذه الردهــة الزمنية . .

تصهل في جانبيها خيول البحـار التي احترقت

وتدور وُجُوه الكوابيس

كم هي موحشة هذه الأرض دونك . .

أحملها صخرة فوق ظهري

وَأعدو بها في مداركَ كالطفل . .

ها أنت ذي تومئين . . وتنتظرين . .

وها أنذا أتعمَّدُ باسمك في كل ثانية

يقتلـوني ، وأولد . .

حيـث تضيء ذراع مقاتلة

فوق قنبلة

أو تطأطئ هامـة طاغية

تحـت خنجر ثائر . .

يسجنوني . .

وأنبت شمســا على حائط الســجن . .

أو يشنقوني . .

وأجعل من حبل مشنقتي ، سلما نحو وجهك . .

وجهك هذا النبي الفدائي

هذا الإلّه العظيم المهاجر .

وتغصين بالصمت خائفة . .

فالطوائف تطبع أختامها في جلود القرابين . .

يا كل شعبي

الجريمة والعدل وجهان . .

والشمس ترحل في البحر . .

لكننا سوف نبني توابيتهم

ذات يوم

وسنرسم فوق شواهدها . .

شارة الثورة العربية . .

والنصر . .

* * *

وتظلين خائفـة . .

فالضحايا تسير صفوفا إلى ساحة الذبح . .

يعلم كل الغـزاة الذين هـم الآن . .

مضطجعون هنـا

تحت أقدامنا

ويعلـم أحفادهم

أن آخر ساعاتهم ــ

حين تكمـل عصفورة الدم

في هذه الأرض دورتها

حول دائرة الجـرح . .

بيروت 1975

خَارج المـُوت

كالفجر تولد ، مغسـول الضياء نقي

لا تدخل الموت ، في أرض ، ولا أفقِ

ولا تغيَّبُ عن جيل ، وإن بعُدَتْ

بك السنينُ ، وطالتْ رحلة الغسق

وبعض قدرك فينا . .

أن مجدك في الأرواح ينبت ، والسـاحات والطرق

وأن صوتك كان العصـر . .

ممتزجا بالعظم . . والفرح الطيني . .

والأرق

يا أمة ــ لم تكن فردا . . ولا جسدا ــ

إذا ارتوى الفرد ، من طغيانه ، وسقي

ولدت في وطنين : الدمـع والعـرق

وعشتَ في وطنين : القلـب والحدق

* * *

كالفجر . . كالمطر الآتي من الزمن . .
كالسيف في النار ، لم تضعف ، ولم تلن
عصفت باليأس . . كان اليأس عاصفة
فوق المدينة ، ذات المرقـد الخشن
لابد من نجمةٍ ، في الليل ، تائهة
كم نجمة ، في جبين الليل ، لم تكن
أكل ميراث هذا الجيل ، ضاع سدى .
يا يأس . . أنت غريب الوجه ، عن وطني .
ويافجيعة . . روح الأرض واحدة
فليس ثمة من روحين ، في بدن
وإن يخن خائن . . أو ينتكس علم . .
فالشعب لم ينس قتلاه . . ولم يخن
ألأمـة أعطت الدنيا حضارتها . .
يوما . . وكانت كتاب المجد حيث فني
تظل مطرقة موتا . . وفي يدها
إرادة إن تمس الموت يحتقن .

في القهر رائحة القضبان . .

قلت لهم . .

والعمر يقطر في قارورة الأبد

ثم أرتحلـت . .

ومن لم يمض مرتحلا . .

لم يأت قط .

ومن لم يأت ، لم يعد .

أكان يغمض عينيه عليك . .

فلم تبصره مختبئا في الحقد والحسد

لقد رأيناه

إلا من خيانته عريان .

يرفل في أثوابه الجدد

رأته مصر . .

فغطت وجهها بيد

كي لا تراه . .

ومست رأسها بيد

لا تمض أكثر

لن تبقى الغداة . .

وإن ظننت أنك باق في ضمير غد

وأعـول الرمل في سيناء . .

وارتعدت عينا فدائية مصرية الجسد

وكان يمشي . .

وكان الدرب منزلقا

والعار يهطل أمطارا . . ولم يكد .

* * *

ــ من أنت ؟

قالــت له القدس . .

التي سمعت خطاه بين خطى الأعـداء

تقترب

هذا التراب رجال

أحرقوا دمهـم نصرا سَجيناً عليه . .

قبلما ذهبوا

من أنت ؟ في مشية الأبطال . .

يا طللاً يمشي ، وفي دمه التاريخ ينتحب

من أنت ؟

تنهار في كفك أعمدةٌ من الجلال

ويبكي المجد والحسب

من أنت ؟ يا أنت . .

لا رب . . ولا قدر

ولا دمشق . . ولا مصر . . ولا العرب

مرغ جبينك أني شئت .

تنحسر المأساة يوما . .

ويكسو الساحة الغضب

* * *

لا . . .

لا . . .

1980


مَلكٌ أوكتابَة

بيننا خائن يارفيق

أنا أو أنت . .

فلنقترع قبل بدء الطريق

* * *

ملك أو كتـابة !

* * *

تصدأُ الصور المعدنية مثقوبةً في مضاجعها

كل وجه قبيلته فوقه

كل وشـم على معصـمين احتفال

ذروة النقص في ذروة الاكتمال

نبيٌّ ولا ملكٌ

أنت عصف المحاريث وحـدك

أيَّـةُ فاجعةٍ أن تكون المغني وحـدك

في ذروة النقص أو ذروة الاكتمال

ويد الله تسكب إبريقها

عطشا في التضاريس

والأرضُ طاولةٌ تخذت شكلها :

ملك أو كتابة

* * *

ليس ثمة ما يجعل الموت في الفجر

أجمل منه إذا انتصف الليل

موتك كان الولادة . .

هل طيبتك الزيوت العتيقة

حتى تفاوحتَ في حمرة القيظ !

لا ليس ثمة رائحةٌ في زهور القرنفل

ثمة رائحةٌ في نقوش الخلاخيل

والزبد الأصفر المتخثر تحت العباءات

والقبعات المليئة بالدم والنفط . .

في أي برج ولدت ؟

إذن برجك الرمل

كوكب عصر التهافت في الأفق العربي السعيد

* * *

سألوني . .

وها أنا أشهد

أن الزمان عجيب

وأعجبه أن هذي الجموع

تغني وترقص في قفص من حديد !

* * *

وأشهد

أن التراب الذي عجنته الهزيمة

كان جميلا . .

وأضحى قبيحا

وأقبح من لونه في العيون

تألَّقُ تاج المهانة

فوق جباه الرجال العبيد

* * *

الجوارح تنهش لحم السموات جائعة

وغزالة طاغور في العشب تحلم

مَرَّتْ بها منذ حين سحابه

لم تقل أنت يامن رأى

ملك أو كتابة

* * *

ثم يحدث ما يشبه الحلم

تهبط بضع شموس من الأفق

ذاتُ عيون رصاصية ، وأصابعَ باردة

تتقوَّسُ فوق بنادقها . .

وكآلهة في الأساطير . .

تمشي الشموسُ مجنحةً

وببطء ثقيل ترش الرصاصات

عرش الذي قتل الأ رض

إنه يتبوأ كرسيَّه الآن

ريشُّ الفراعنة الأولين

على منكبيه . . وفي روحه

جسدٌ بالغ الموت

يحسب أن لن يموت

وببطء ثقيل ترش الرصاصات

عرش الذي قتل الأرض

ثم تغوص ، وتنكسر الخطوات عليه

وتخلع مصر براقعها . .

كان في دمها ، وهي حاضَتْ به . .

نسلته غريبا

وأنسلها لعنة

أحضرته من الظلمات . . وغاب

كان حجم جريمته

حجم يوم الحساب !

* * *

الذي قتل الأرض

نفَّضَ نعليه فوق رقاب النبيين

واختار رقدته في الكنيس اليهودي

لكنه لم يكن وحده

كان أنت الخيانة أَوْ أنا

والظل أجنحة الشجر المتكسر

معذرةً يارفيق

إن عصرا تحوم عليه الإدانة

فلنقترع قبل بدء الطريق !

* * *

حائط الغيم يصعد معترضا حائط الغيم

والقوس يبرق في الهضبات البعيدة

والرعد ملءُ الأكف التي أمسكت بالمداميك

ها قد مشى الرمل

فوق الحقول التي زرعتها يداك

هو الرمل يمشي هناك !

أم العمر تطفو عليه شخوص الكوابيس

« عيد السيادة . .

ذكرى اغتصاب فلسطين »

« عيد فلسطين

ذكرى المعاهدة البربرية »

« عيد الصعود

« عيد الهبوط

ويوم الصيام

ويوم الضحية

ومات الرسول

وقام المسيح

وأعشبت العتباتُ السنيةْ

وقال المطارنة الطيبون

وأفتى ابن مالك والشافعية

وهذا انقلاب لأجل القضية

وآخر أيضا ، لنفس القضية

وكأس نبيذ لمجد يهوذا

وكأسان في صحة المجدليه

وعام على إثره ألف عام
وخارطة الدولة العربية
ممرغة في بقايا حطام
قوائمه النظم العنترية
فهاتيك رايتها جاهلية
وتلك عباءتها هاشمية
وأخرى تميل إلى الماركسية
ورابعة تعشق الناصرية
وتنطق باللغـة الفستقية
وتسقط كل رقاع البيادق
منهكة في حروب الكلام
وطار الحمام
وحط الحمام
وفي البال فسقية من رخام
ومَحظيّةٌ مثل بدر التمام
وعين جلالته لا تنام

ويا قدس مني عليك السلام

* * *

الذي قتل الأرض

مازال يمسخ رؤيا الجموع

ويهطل في مطر الكلمات

يُزَهِّر أفيونُــهُ في الطقوس

وفي كتب الموت والصلوات

وأرغفة الخبز والملصقات

وطقطوقة الباشوات القدامى

ومعزوفة الباشوات الطغاة

* * *

ويا ليل . . يا عين

يا عين . . ياليل

والليل ينفخ أرغوله في شوارع مكة

ومكة جوهرة الأنبياء

تعلق أوثانها فوق سور البكاء

وتحصد في جوعها النفط والفقراء !

* * *

في أشد الفصول خريفيَّةً

تتفتق أغشيةُ اليرقات الشفيفة

عَنْ أمم طفلة

سوف تحمل مائدة الله فوق سواعدها

وتثبِّتُ أعمدةَ الكوْن . .

* * *

من يحبس الموج كي لا يقلب كفيه

في لؤلؤ البحر !!

من يجذب النار

ملو يّـةً من ضفائرها !

حجر القبر يرقب ساعتكم

اختبئوا فيه . .

أو خبئوا جِيَفَ العصر

إنِّي أدوس نياشينكم

إن هذي النياشين

فوق صدور مجوفة

قط لم تعرف النصر

إني أدين صحائفكم

طائر الكلمات الجريحة

يقطر في غسق الفجر

أسألكم ياملوك الطوائف

هل أمةٌ في حوانيتكم أم بقايا شعوب

إن أزمنة عانقتها الحضارة

تطمسها ريح أيامكم

إن من يحصد الضوء في الشمس

يحصد ظلمتها في الغروب

خشيتي من رماد هزائمكم

خشيتي من جحيم انتصاراتكم

فالغرابيل مسقوفة أبدا بالثقوب

وليكن قدر الحق

إن انهيار ممالككم وحده

هو شرط انتصار النبي الفدائي

* * *

شجر الأرز يأكل أطفاله فجأة

كانت الشمس تنصب في شجر الأرز

بستانها

وتروح تسيج منعطفات القرى بمغازلها

أنت من أدخل الشمس في ظله

وتسرب عريان في الظل

آخر مالم تقل

أن سربا من الطير يتعب

لكن أعناقه لا تسد السماء على الطير

واخترتَ برقَ الألوهية

اخترت أن لا تكون الغيوم التي اتكأتْ في خيال الحديقة

أو سلة الياسمين

التي خبأتها صغار العصافير

في أرخبيل الغصون

ــ 1 ــ مونولوج صوفي

كُنْ شريكي أهبْك جواهر قلبي

أو كن قتيلي

إن في شفتيك دمي أو رحيلي

— 2 —

وكان اسمه عابد العابدين

وكان اسمك القادر المقتدر

— 3 —

أنت تعرف أنى كثير

وأنك وحدك

وأعرف أنك قبلي

وأني بعدك

— 4 —

الرماد رمادي ، يانهر دجلة

والرأس رأسي ، ياسور بغداد

صرت وحدي في الناس مليون نخله

كلما قطعوني أزداد

— 5 —

كان كأس دمي طافحا

فاستحيت . . وأفرغته

مثل من سبقوني

أتراني جاوزت قدري . .

لأنى قد تَعَمَّدْتُ

فى الهوى بجنوني!

— 6 —

منذ أن مسنى . . ومضى

تاركا كنزه في فمي

خلصَتْ شهوتي

فهي موجٌ يفيء إليه

وأجنحةٌ من صبابه

* * *

لست أعرفنى

لم تقل لى من أنت ؟

من أنا يا سيدي ؟

من هو الآخر المتحجر في شفتي ؟

ملك أو كتابه

شفقٌ أو عقيق !

إن من خاننا لم يزل بيننا يارفيق

والادانة ماثلةٌ في التقاطع

فلنقترع قبل بدء الطريق !

بيروت ـ تونس 1982

الفهرست

رقم الإيداع : ٧٣٨٣ / ٩٢
I.S.B.N 977 - 09 - 0108 - 3

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٢٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بيروت: ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣